

امارة مجهولة

المكان ، الزمان ، السند ، الامارة

ملحة الامارة

مكان الإمارة : هو بلدة « بادس » ، وقد عتاني طول البحث عنها منذ أواخر سنة ١٩٥٥ أيام ظفرت بنص معاهدة بين البندقية وبادس موقع بإمضاء أميرها .

واقتربت من بادس في رحلة كنت بها مع الملك محمد الخامس ملك المغرب السابق عليه رحمت الله ، وبلغنا « الحسيمة » في ريف المغرب الأقصى ، ولم أكن أدري أن بادس التي أبحث عنها كانت على مقربة من الحسيمة ، وعدت من تلك الرحلة ولم يتح لي أن أراها أو أرى موضعها .

وجاءني من أعلمي بعد ذلك أن على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، بين « سبتة » و « مليلة » جزيرة صغيرة انصابت مؤخراً بالبحر المغربي ، فأصبحت شبه جزيرة ، وأنها كانت تسمى « حَجَرَة بادس » أو « حَجَر بادس » أو « حصن بادس » لقربها من بلدة بادس المغربية ، التي هي موضوع بحثي . وقرأت في كتاب « المغرب » (١) ، أن بادس مدينة تاريخية من المدن المؤسسة في القرن الأول للفتح الإسلامي لعبت دوراً خطيراً في تاريخ المغرب ،

(١) للصدقي بن العربي ص ٦٥ .

وقد اندثرت الآن ولم يبق منها شيء غير الاسم ، قال : وموقعها على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، أمام الجزيرة المعروفة بنفس الاسم ، وفي الطريق بين سبتة ومليلة .

وفي تاريخ تطوان (١) : بادس ، جزيرة أو شبه جزيرة على البحر الأبيض المتوسط ، هي الآن في يد الأسبان .
وفي الدليل الأزرق المغرب (٢) ما ترجمته :

على الشاطئ المغربي بين مدينتي سبتة ومليلة الأسبانيتين أمام قرية « القميرة » المسماة بالأسبانية بنيون دوفيلير دولا قرية Penion de velez de la gomera تقع بلدة بادس وهي قرية صغيرة على نهر يدعى باسمها ، كان الرومان يسمونها باريانتينا Parientina وكان يُبنّاها شأن في القرون الوسطى ، في مواصلات وفاس ، الخارجية ، وأكمل البناء بعد استقرار الأسبان في القميرة . هـ
وتكرر ورود ذكرها في تاريخ المغرب القديم :

- ١ — أمر عبد المؤمن سنة ٥٥٧ هـ ، بإنشاء الأساطيل ، فكان منها بطليجة وسبتة وبادس ومراسي الربف مائة قطعة (٣) .
- ٢ — وفي سنة ٦٠١ هـ بنى عامل الربف ، من قبيل الناصر ، واسمه « يعيش » سور بادس وبلدية ومليلة ، حيطة من فجأة العدو (٤) .
- ٣ — وأمر السلطان يعقوب ببناء السور على بادس مرفأ السفن ومحل العبور من بلاد غمارة سنة ٦٧٤ هـ (٥) .

(١) لأستاذ محمد داود ١ : ٤٤٥ .

(٢) Guide Bleu Maroc الطبعة الثامنة ١٩٤٥ م ٤٩٦ .

(٣) الاستبصار ، الطبعة الثانية ٢ : ١٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ٢ : ١٩٥ .

(٥) أيضاً ٣ : ٤٢ .

- ٤ - وفي سنة ٦٧٨ هـ ، قدم من بادس وسلا وآنفى خمسة عشر أسطولاً انضمت إلى بقية الأسطول في مرفأ سبتة (١) .
- ٥ - وفي سنة ٧٦٠ هـ ، ظهر السلطان أبو سالم بجبال غمارة وفر منصور ابن سليمان إلى بادس ، فقبض عليه ، وجيء به إلى السلطان أبي سالم فقتله (٢) .
- ٦ - وبادس (في القرن السادس للهجرة) مدينة متحضرة ، فيها أسواق وصناعات قلائل ، وغمارة يلجأون إليها في حوائجهم . وهي آخر بلاد غمارة (٣) .
- ٧ - وأخرجت علماء ، منهم عبد الحق بن اسماعيل البادسي ، مصنف « المقصد الشريف » ، في صلاحاء الريف ، رأيت مخطوطة منه في خزانة الرباط (المجموع ١٤١٩ د) فرغ من تأليفه سنة ٧١١ هـ . وانظر مجلة المجمع العلمي العربي ١٢ : ٦٠

الزمن

زمن البحث في الامارة المبهولة هو ، القرن العاشر للهجرة ، والخامس عشر الى أوائل السادس عشر للميلاد .

السند

وسند البحث : معاهدة عُمُدت يوم ١٩ رمضان سنة ٩١٣ هـ الموافق ٢١ يناير ١٥٠٨ بين الأمير منصور بن يوسف ، والقبطان لوزيزمان البندقي ، في بلدة بادس .

(١) الاستقصا ، الطبعة الثانية ٣ : ٥٢ .

(٢) أيضاً ٤ : ٧ .

(٣) الشريف الادريسي ، في نزعة المشتاق كما في الحلل السندسية ١ : ٦٨

وكان قد اتفق لي الاطلاع على الأصل الفريد لهذه المعاهدة ، بينما كنت أقتبب أضاير « الأركشيوي » الأربع عشرة ، في البندقية ، وما فيها من رسائل ووثائق واردة عليها من بعض ملوك النمسا وسلاطين مصر ، والدولة العثمانية .

نص المعاهدة

الحمد لله وحده ، هذه معاهدة وشروط عقدها القبطان الكبير في قومه ، العزيز بين أبناء جنسه الحبيب الأصيل « لورنزيانو » هداه الله ، بينه وبين الأمير العظيم الأسعد الأنجلو أني علي منصور بن يوسف كان الله له ، وأصلح قوله وعمله ، وكانت المعاهدة بينهم في حين وصول القبطان إلى مرسى مدينة بادس أمنها الله .

الأول — أول المعاهدة والشروط أن الصالح مُتفق بين المسلمين من أهل بادس وعملها ، وبين النصارى من البنادقة وعملها ، من يوم تاريخ هذه المعاهدة ، طول ما يبقوا يشوا ويحوا لبادس من الآن لِفُتْدَام إن شاء الله .

الثاني — العقد الثاني أن كل جفن يحجي من تحت علامة الشنيورية من أرض البنادقة فإنه ينزل في مدينة بادس أمنها الله ، مؤمناً في نفسه وماله على هذه المعاهدة التي عقدها القبطان مع الأمير أيده الله ، من غير زيادة ولا نقصان إن شاء الله .

الثالث — العقد الثالث ألا بأس أحد من البنادقة أحداً من أهل بادس وعملها ، ولا بأس أحد من أهل بادس أحداً من البنادقة وعملها ،

من بعد هذه المعاهدة . ومما ظهر أسير عند كلي الفريقين فإنه
يحرر من الأسر في الساعة التي يرى فيها إن شاء الله .

الرابع — الرابع لا يؤخذ أحد بذنب أحد . مثل أن يكون لمسلم دينٌ
على نصراني بندق مما مضى من سالف الأعوام ، ويريد المسلم أن
يحبس فيه أحداً من البنادقة ، فإن ذلك لا يكون إن شاء الله .
الخامس — العقد الخامس إذا جاء تاجر نصراني بندق في جفن من أجفان
النصارى غير أجفان البنادقة فإن مأمَنَهُ ومَغْرَمَهُ يكون على
ما في هذه المعاهدة من غير زيادة ولا نقصان بعون الله .

السادس — العقد السادس إذا هال البحر على الطرائد في مرسى بادس ، أو
دعهم عدوً أو تنكسر لهم سفينة واحتاجوا إلى النزول في البر
فإنهم مؤمنين (كذا) في أنفسهم وفي أموالهم بعون الله .

العقد السابع إن تجار البنادقة ينزلوا بسلمهم في مدينة بادس
أمنها الله يبيعون ويشتررون على أنهم إذا باعوا شيئاً لمسلم بمائة دينار
(دينار) ذهباً فإنهم لا يفارقون المسلم المشتري حتى يحملونه ، لأن
المشتري يُغْرَم على مشتراه عَشْرُ أغير ربع وذلك سبعة ذهب
ونصف من كل مائة ، فإن فرط النصراني البائع في المشتري ،
فإنه يُغْرَمُ بدلاً منه سبعة ونصفاً من كل مائة إن شاء الله .

السابع — العقد السابع إن جميع ما يشترونه من القمح والدقيق والخبز
وغير ذلك من الفواكه والخضّر فإنهم يرفعون ذلك للطرائد
بغير مفرم يلزمهم على ما ذكر بعون الله .

الثامن — العقد الثامن أن الورقي (؟) الذي في طريدة القبطان إذا يبيع سلعة بما يبي ذهب التي تجب عليه فيها خمسة عشر دينراً ذهباً فإنه يحرر ولا يتغم منها قليلاً ولا كثيراً إن شاء الله . وكذلك رئيس كل طريدة وهو رئيس في كل طريدة فإنه يحرر له من مفرمه الذي يبيع به سلعته سبعة دنانير ونصف دينار ، ولا يُزاد عليها ولا يُنقص بمون الله .

العقد التاسع ، إذا هرب إلى الطرائد أسير نصراني من بادس وعملها فأنهم يُنزلونه لصاحبه ، وإن حملوه معهم ويُخرجوه في أرض النصراري ويطلقوه فأنهم إذا جاءوا لعام آخر يُحبس فيه واحد منهم إن شاء الله .

على جميع ما ذكر من المعاهدة والشروط توافق الأمير أبو علي منصور أعز الله أيامه مع القبطان الحسيب لوزي زَمَانُ البندقيّ أكرمه الله ، وكتب جميع ما ذكر بينها محمد بن أحمد الرزيني وفقه الله يوم السبت التاسع عشر من شهر رمضان المعظم عام ثلاثة عشر وتسماية وفي اليوم الحادي والعشرين من شهر يَنْبَيْرُ المعجمي الذي من عام الف وخمماية وثمانية أعوام . هـ

[illegible][illegible]

الإمارة

ليس فيما وقفت عليه من تواريخ المغرب أي ذكر لامارة في بادس ،
تولاها أو قام بها أمير يدعى « منصور بن يوسف » ولعله كان مستقلاً غير
تابع لإحدى دولتي عصره : الوطاسية المرينية ، ودولة بني الأحمر ، وإلا
لما فاتته أن يشير في بدء المعاهدة ، أو ختامها إلى الدولة التي هو من عملها .
- ويلاحظ في السطر الرابع من الصفحة الأولى من نص المعاهدة ، فراغ
كان قد تركه الكاتب لاسم الأمير منصور ، وملاء هو بخطه على طريقة
سلاطين المغرب في تحلية رسائلهم بتوقيعاتهم في أعلى الرسائل ، وانفرد هذا
بإدخال اسمه في صلب الفقرة الأولى من المعاهدة .

ثم ، هل هناك أكثر من التشابه في الأسماء ، عندما نجد في تاريخ
المغرب كبيراً من الوطاسيين اسمه ، يوسف بن منصور (بن زيان الوطاسي)
قد تولى خلع سلطان فاس أبي عبد الله الحفيد سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م ؟
أم يذهب بنا الحدس إلى أن منصور بن يوسف صاحب معاهدة بادس ،
سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٨ م ، هو ابن ليوسف بن منصور بن زيان ؟ فتكون
الإمارة « وطاسية » ، بلحق ما يمكن أن يعرف عنها بتاريخ الوطاسيين .
هذا خاطر يسبق عند محاولة التعرف إلى نسب منصور وأولاديه ، لا يدخل
في صميم موضوع « الإمارة » .

أما مادة التاريخ بلغة بادس ، بعد زمن المعاهدة ، فتوفرة ، وأهم
ما يتعلق يبحثنا منها ، أن الإسبان احتلوا جزيرة بادس في ٢٣ يوليو ١٥٠٨ م

٢٣ صفر ٩١٤ هـ أي بعد زهاء سبعة أشهر من توقيع المعاهدة ، وأورد صديقنا محمد بن تلويت التطواني^(١) نصوصاً مفيدة لأحداث وقعت في بادس وما حولها في بعض أعوام ١٥٢٢ — ١٥٦٤ م (٩٢٢ — ٩٧١ هـ) لم أجد فيها ما يسعني في كشف حقيقة «الإمارة المجهولة» التي يمكن أن يكون اسمها منذ الآن في تاريخ بادس «إمارة منصور بن يوسف» ، إلى أن يظهر عنها من نشوئها ومدتها ، وعلاقتها بجاراتها ، مالا يزال فيها أحسب ، في عالم القيب .

خبر الدين الزركلي

زويل بيروت :



(١) في مجلة نطوان : العدد ٥ الصفحة ١١٦ .